التّجديد في الفكر الإســـــلامـــــي

أ. إدريس الطاهر بشــير قدوع – طالب بمرحلة الدكتوراه - جامعة الزاوية.

Modernization in the Islamic Concept

Idris Altaher Bashir Qadoa - Doctoral Student - Al Zawiya University

Renewal in Thought

This research aims to clarify the issue of renewal in Islamic thought, as it is considered an urgent necessity to ensure the validity of Sharia for all times and places, without compromising its constants. It highlights the most important features of renewal in various Islamic sciences, such as: principles, jurisprudence, creed, interpretation, and the Sunnah, while also addressing the criteria for renewal that should be considered to avoid diluting the texts. Additionally, it illustrates the relationship between renewal, independent reasoning (ijtihad), and imitation (taqlid), clarifying that renewal is the result of ijtihad that adheres to the principles of Sharia, and that it does not contradict imitation; rather, it complements it to preserve authenticity and renew understanding. The discussion also includes the use of modern sciences and Keywords: renewal, imitation, .technology as means to understand legal texts independent reasoning

الملخـــــــــص:

يقصد هذا البحث إلى بيان قضية التجديد في الفكر الإسلامي؛ لكونها تعد ضرورة ملحّة لضمان صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، من دون الإخلال بثوابتها.

ويبرز أهم ملامح التجديد في مختلف العلوم الإسلامية، مثل: الأصـول، الفقـه، العقيـدة، التفسير، والسنة، ولم يغفل عن الاشارة إلى ضوابط التجديد التي ينبغي اعتبارهـا، لتجنـب تمييع النصوص. كما بيّن العلاقة بين التجديد والاجتهاد والتقليد، موضـحًا أن التجديـد هـو ثمرة الاجتهاد الملتزم بأصول الشريعة، وأنه لا يتناقض مع التقليد، بل يتكامل معـه لحفـظ الأصـالة وتجديـد الفهم. كمـا نـاقش توظيـف العلـوم الحديثـة والتكنولوجيـا كوسـائل لفهـم النصوص الشرعية،

الكلمات المفتاحية: التجديد، التقليد الاجتهاد.

المقدمـــــــــــة :

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على خاتم رسله وأنبيائه، محمد الهادي إلى النهج القويم، وعلى آله وصحبه الطاهرين

وبعد:

فإن قضية التجديد من أهم القضايا التي أخذت حيزاً كبيرا من الساحة الفكرية والإعلامية في واقعنا المعاصر، والناظر في الحركة العلمية يلحظ ما تعانيه الأمةُ من تخبطاتِ ونزاعاتِ عليمةٍ يرجعُ معظمها إلى نزعةِ بعض أفرادها إلى التقليد والجمودِ وتباعِ سنن الأولين, دون مراعاة لعاملي الزمان والمكان، بينما ينطلق التيار الآخر في الاجتهاد والتجديد بحثاً عن أحكامٍ جديدة لكل ما يطرأ في الساحة الإسلامية من حوادث ونوازل لم تكن معرفة سباقاً، ساعياً من خلال ذلك التجديد لتطبيق مبدأ صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، ومن هنا كان منطلق البحث مرتكزا على ضبط مفهوم التجديد وبيانه تبيانا شافيا .

إشكالية البحث:

من المعلوم أن الإسلام خاتم الأديان السماوية، وأن شريعته هي الشريعة الخاتمة التي تصلح للناس حتى قيام الساعة. وفي المقابل فإن نصوص هذه الشريعة ثابتة لا تقبل التغير محفوظة بنص العزيز القدير، كما أن حبل الوحي انقطع بانتقال النبي - صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى فلم تعد هناك نصوص شريعة جديدة قد تنسخ السابقة، فيكف يمكن التوفيق بين القضيتين؟ ومن خلال هذا تبرز من هذه الاشكالية عدة تساؤلات أهمها:

1. ما المراد بالتجديد وما أهم معالمه ؟
2. أكانت ظاهرة التجديد متأخرة أم إ ن بوادرها كانت موجدة في السابق؟
3. هل كانت النصوص الشرعية كلها قابلة للتجديد أم إن التجديد يدخل في الجزئيات فقط ؟
4. ما أوجه التقارب بين التجديد والمصطلحات التي تقابله كالتقليد. ومن هم أبرز رواد هذا المجال ؟

أهمية البحث :

1- التعرف على المراد بالتجديد وما أهم معالمه.

2- معرفة ما إذا كانت ظاهرة التجديد متأخرة أم إ ن بوادرها كانت موجودة في السابق.

3- معرفة ما إذا كانت النصوص الشرعية كلها قابلة للتجديد أم إن التجديد يدخل في الجزئيات فقط .

4- بيان أوجه التقارب بين التجديد والمصطلحات التي تقابله كالتقليد. ومن هم أبرز رواد هذا المجال.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا الموضوع في ارتباطه بشتى مجالات الشريعة وتتلخص هذه الأهمية في النقاط الآتية:

1- في كون التجديد من الوسائل الوقائية لحفظ الشريعة:

2- التجديد في الدّين وسيلة ضرورية لتنقية الشريعة مما علق بها من الانحرافات والبدع والخرافات.

3- الرد على كثير ممن ينكرون التجديد وذلك يكون بدراسة التجديد دراسة مستقلة.

المنهج المتّـــبع:

يتبع الباحث المنهج الاستقرائي في سرد أقوال أهل العلم في التجديد، ثم المنهج التحليلي في تحليل أقوالهم وآرائهم.

هيكلية البحث:

تماشيا مع منهجية البحث ونظرا لطبيعة البحث فقد قسم إلى توطئة ومبحثين وتتبعهما خاتمه تحوي أهم النتائج، ويندرج تحت كل مبحث من المباحث مطالب فرعية للقضايا المدروسة. وقد جاء المبحث الأول: في مفهوم التجديد. المطلب الأول: ماهية التجديد. المطلب الثاني: مظاهر التجديد في الفكر الإسلامي. المبحث الثاني: ضوابط التجديد ومجالاته وأهدافه المطلب الأول: ضوابط ووسائل التجديد، والمطلب الثاني: علاقة التجديد بالاجتهاد والتقليد. ثم الخاتمة، وتتضمن النتائج المستفادة والتوصيات المطلوب.

المبحث الأول ـ التجديد :

أنعم الله- تبارك وتعالى - أنعم على المسلمين بهذه الشريعة الخالدة، وهي نعمة لا تساويها نعمة أخرى ومنة لا تعادلها منة أخرى؛ لأن الله تبارك وتعالى آمل هذه الشريعة

الربانية الخالدة إلى يوم القيامة، وجعل خاصيتها البارزة على سائل الشرائع أنها كانت خاتمتها, مما استوجب مرونة نصوصها وقابليتها للتجديد حتى تصلح لكل زمان ومكان.

فينبغي أن نضع نصب أعيننا ونحن بصدد الكلام عن مفهوم التجديد بأنه حين يطلق لا يقصد به العقيدة الإسلامية، ولا ينبغي أن تكون المنادة به إرضاء لأهواء بعض الناس من أصحاب الفكر العلماني المنحرف، أو من أجل التقرب إلى النصارى، كما يفعل بعض أدعياء التجديد؛ لأن مفهوم التجديد نابع من كون الإسلام صالح لكل الناس وكل الأزمنة، ومن أدلة ذلك أن التشريع الإسلامي عدّ العرف أحد مصادره، فالعرف هو أحد أنواع التجديد المشروعة.

ويعد التجديد مطلبا ملحاً من متطلبات الحياة، فهو يعني أن الحياة قائمة ومستمرة، ويذكر ابن القيم فائدة وجود المجددين في هذا الدين بقوله (ولولا ضمان الله بحفظ دينه، وتكفله بأن يقيم له من يجدد أعلامه ويحيي منه ما أماته المبطلون، وينعش ما أخمله الجاهلون، لهدمتْ أركانه وتداعى بنيانه. لكن الله ذو فضل على العالمين)[1] .

والتجديد ذو مفهوم عام وشامل يعلم نفعه وتظهر فائدته، وهو يكون بتصحيح العقيدة بعبادة الله، ورد غارات الوثنية، ويكون بكسر سلطان التقليد الأعمى، والجمود، والطائفية، وذلك بفتح باب الاجتهاد والاعتماد على الأدلة، وتمحيصها، من الدخيل والكف عن تحميلها ما لا تحتمله من علوم الإشارة، وبالجملة فإن التجديد هو إحياء الرد إلى الله ورسوله.

المطلب الأول ـ ماهية التجديد:

التجديد لغة : تصيير الشيء جديدا، يقال: أجده واستجده وجدده: أي صيره جديدا، وهو نقيض الخلق [2].

التجديد اصطلاحا: تعدّدت تعارف التجديد عند العلماء، **فعرفه** بعضهم:" تطهير الإسلام من أدناس الجاهلية وجلاء ديباجته؛ حتى يشرق كالشمس ليس دونها غمام"[3] ، وقيل إن التجديد بتنزيل مطلق الوحي على الواقع، ومحاكمته به، وهي كلمة تحكل حيوية متجددة وتبعث النفس للسعي الدؤوب لإعادة معالم الدين بعد أن كادتْ تنطمس في مختلف المجالات. [4]

ولعل هذه التعريفات كلها مستمدة من قول النبي - عليه الصلاة والسلام- **" إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"** [5] .

والناظر إلى موضع هذا الحديث في أبواب السنن ـ وخصوصاً في سنن أبي داود ـ؛ يجد أن الإمام أبي داود ـ صدره في أول باب من كتاب الملاحم، فقال: " كتاب الملاحم.. باب: ما يذكر في قرن المائة. حدثنا سليمان بن داود المهري....."، لذا يذكر أئمة الحديث في هذا الباب الأحاديث النبوية الواردة في قتال المسلمين للترك والرومان واليهود وغيرهم، ونسأل هنا: لماذا كتب أبي داود هذا الحديث في هذا الباب...؟ نقول: إن هذا من فقه أئمة الحديث وبراعتهم التصانيف. وذكر أبو داود لهذا الحديث في هذا الموضع في لطائف نراها.. ومنها:

1- أن المجدد ليس بعيداً عن الأحداث الجسام التي تتعرض لها الأمة، وعن الحروب المعلنة على الإسلام، فليس مكان المجدد في الأبراج العالية بعيداً عن الأحداث التي تعصف بالمسلمين، كما أنه ليس بعيداً عن ذروة السنام: الجهاد. وليس المجدد بالذي لا يضع يده في يد المسلمين في جهادهم ضد أعداء الإسلام.

2- أن من معاني تجديد الدين انتصار الدين في تلك الملاحم والحروب التي قامت وستقوم لمحاولة هدم الدين. وكأن الإمام أبي داود بتقديمه هذا الحديث على كل أحاديث الملاحم؛ يريد أن يؤكد السن الربانية القائلة بانتصار الدين الإسلامي في نهاية تلك الحروب . فأورد حديث التجديد الذي يبشر بالمكانة والريادة لأمة المسلمين.(6)

وهو ما يؤكده ابن تيمية عن فائدة التجديد والقائمين عليه " بأن التجديد؛ إنما يكون بعد الدروس، وذلك هو غربة الإسلام" (7)، ويصف ابن القيم المجددين بقوله :" هم غرس الله الذين لا يزال يغرسهم في دينه، ومهم الذين قال فيهم علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه- لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة))(8)

والتجديد إذا لم يخالف المعاني السابقة، فهو بهذا يعد من البشارات النبوية العظيمة التي بشر بها النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلى الرغم من جواز إطلاق مصطلح التجديد فقد ظهرت أصوات حاربت التجديد زاعمه أن كمال الدين يتنافى مع التجديد ؛ لأنهم ظنوه داخلاً في حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- : " ..**شَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ،**"(9) ، مع أن البعد بين المنهي عنه ، ومجال التجديد بعد المشرقين؛ فالحديث في الثوابت دون غيرها، والتجديد للمتغيرات ولا يتعرض للثوابت إلا من حيث الأسلوب، وهو من المتغيرات (10)، وقد حذّر أصحاب الاتجاه الرافض للحركة الإصلاحية التطويريّة التجديدية معلّلين ذلك بقولهم: إن حركة تطوير الفقه وأصوله بديل مُتطورٌ لحركة تركيا الثورية نحو العلمانية. إن العمل الجاد التجديدي لهو

الذي يقوم على مبدأ المصلحة وحدها. ووصفوا الفقه على حد زعمهم بالوضعي، وأن إقامة الرأي في الأصول على النص يستهدف هدم الحواجز القائمة بين شريعة البشر وشريعة الله. وادعوا أن استخدام هذا المنهج لإضفاء صفة الشرعية للأفكار الغربية على الأسرة والاقتصاد والقانون (11). ولا شك بأن أصحاب هذا الرأي لم يفرقوا بين التجديد الذي يكون في المتغيرات والوسائل، وبين أن يكون التجديد في الأصول. فالناظر يجد أن الشريعة حثت على التجديد لإجمالها في بعض الجوانب لتترك المجال للعقل وللواقع.

ويقول بعض المعاصرين عن التجديد:" لقد وقفت الشريعة الإسلامية عند التفصيل للأحكام مما هو ثابت، وللتجديد لما هو متغير" (12)

وبعد هذا العرض يتضح أن التجديد أمر مطلوب في ظل التغيرات التي يشهدها العالم، ولكن لا ينبغي أن يكون الأمر مفتوحا على مصراعيه ويتخذه بعضهم وسيلة لهدم مبادئ الدين، فمن خلال ما سبق ندرك أن التجديد لا يعني الإتيان بجديد منقطع عما كان عليه الأمر أولا؛ ولكنه يمر بمراحل؛ وهي:

- **المرحلة الأولـــى:** كون الشيء المراد تجديده موجودا في أول الأمر، وللناس به عهد.
- **المرحلة الثانيـــة** : إعادة الشيء إلى حاله الأولى التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق فلهذا وجب أن يكون التجديد وفقا للضوابط تحدد مفهومه وتبين مقصوده.

إن ظهور كثير من القضايا الفكرية الجديدة التي لم تحصل في القرون الأولى جعلت كثيرا من علماء المسلمين ملزمين بأن يجدوا له ما يحاكيها من النصوص الشرعية فكانت مناطا لاختلافهم في فهم النصوص وساحة علمية بارزة أثرت التراث الإسلامي، ومن تلك القضايا اختلافهم العقدي في مسألة تأويل الأسماء والصفات وقضية المجاز التي كانا لهما الحظ الأوفر في الساحة العلمية.

ولعلنا نذكر بعض النماذج من الحركة التجديدية كإمام الحرمين الجويني: التي تعد آثاره التجديدية في علم الأصول كثيرة منها استدراكه على السابقين: ووضع مدخل تعريفي في علم الأصول. حسن التقسيم. الحرية في البحث، والتقاط من كل مذهب خياره، والغزالي الذي ابتكار ترتيب بديع لمادة علم الأصول والإعراض عن التكلف والتعقيد في العبارة. الدعوة إلى تنقية الأصول من المواد الدخيلة. إدخال المنطق في علم الأصول، وابن تيمية رائد المدرسة الحديثية الذي كانت آثاره التجديدية واضحة في رده ونقضه للطريقة الكلامية في أصول الفقه. وموقفه من علم المنطق وعنايته بالأصول التي يتأسس عليها العمل[13], وابن القيم الذي كان تصديه لفكرة وحدة الوجود التي دعا إليها محيي الدين ابن

عربي، بحسب ما يفهم من ظواهر بعض كتاباته. فيقول ابن القيم ردا عليهم: ((وأما الملاحدة أهل وحدة الوجود فعندهم أنها لم تزل متلاشية في عين وجود الحق)[14].

واستمرت حركة التجديد إلى القرون المتأخرة حتى وصلت إلى بعض المعاصرين كأمثال محمد عبده الذي كانت له مكانة سامية في حركة تجديد الفكر الديني في مصر والعالم الإسلامي، وأصبح اسمه رمزًا على إعمال العقل والتفكير في أمور الدين بعقلية حديثة ومُتقدمة تسعى إلى بناء جسور التواصُل بين مبادئ الدين ونظُم المُجتمع. فجاءت حياته التي استمرت لـ 56 عامًا (1849-1905) عُنوانًا لمعان مُتعددة قَل إن تجتمع في شخص واحد ([15]), ولزاما وأنت تتكلم عن حركة التجديد أن تورد الدعوة بدأها محمد بن عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية ولم تلبث أن انطلقت إلى مختلف الأقطار، والسنوسي في ليبيا،[16]

المطلب الثاني ـ مظاهر التجديد في الفكر الإسلامي:

ما إن اكتملت نصوص الوحي بوفاة رسول الله- عليه الصلاة والسلام- حتى بدأت حركة الاجتهاد، وبدأ تنامي المدرسة الفقهية مع الخلفاء الراشدين- رضوان الله عليهم - ثم ما لبثت الحركة العلمية أن تنامت تناميا سليما، لسلامة جسم الأمة وعقلها. واستنْفِر العقل الإسلامي مع القرن الثاني الهجري إلى جهاد جديد، خصوصا وأنه كان "عصر توقف الفتوح، وعصر الاستقرار، والإنشاء الحضاري، فانصرفت القوة المبدعة المنظمة إلى الجهاد في ميدان جديد، هو ميدان الفكر، وأخذت تستفرغ مجهودها كي تجمع الآثار المتفرقة، وتبحث عن التراث الضائع، وتنظم وتبوب، وتدون في كل فن وعلم، فلم يبلغ القرن الثاني غايته حتى كان التدوين قد بلغ أشده ([17]).

إن الناظر في مدونات التي ألفها علماء الإسلامي في شتى أنواع المجالات يجد تقسيمات ومتغيرات حسب ما تقتضيه المصلحة وما يقتضيه المكان. كما أن المتتبع لهذه القضية قديما وحديثا يدرك - بلا عناء - أن لهذه القضية أصولا تضرب بجذورها إلى أوائل هذا القرن الحالي، وكان حامل لواء هذه الدعوة مدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم، وأنها اتخذت صورا متعددة، فالبعض دعا إلى التجديد من ناحية الشكل، وبعضهم دعا إلى تجديد المضمون وذلك بإضافة أشياء جديدة بتغيير الهيكل ... إلى آخر هذه القضايا والأبحاث التي تدعو إلى تعميق البحث، وتوسيع المجال والاستخدام ([18]).

ولعل لسائل أن يسأل عن كيفية التجديد والأمة مأمورة شرعا بإتباع الدليل دون الابتداع في دين الله، فهل ثمة تناقض بين المطالبة بالتجديد، وبين التقيد بأصول الشرع الحنيف،

وإجابة عن هذا التساؤل ينبغي التركيز على ترسيخ مفهوم وهو الحاجة إلى التجديد فهم القرآن الكريم ضرورة قصوى وذلك لظهور نوازل ومسائل جديدة لم تكن مطروحة من قبل, خاصة وأن قد ضعف تأثير الدراسات التقليدية السابقة في واقع الأمة, مع تزايد الانفتاح المعرفي وتراكم العلوم وحاجة الجيل الجديد إلى لغة معاصرة في فهم القرآن, والرد على الشبهات والتشويشات الفكرية الحديثة.

وكذلك يمكن للمجدد توظيف العلوم الحديثة مثل: علم الاجتماع، والنفس، واللسانيات؛ لتحليل الخطاب القرآني. شريطة أن تُستعمل كأدوات دون أن تكون هي الفيصل في الأمر، ولا يجعل من النص القرآني محكوما عليه وليس حاكما، وهو خلاف ما يجب أن يكون الأمر عليه، ولا شك أن استخدام الذكاء الاصطناعي في هذا التوقيت هو القيمة الأبرز الي يمكن استغلالها في استخدام أساليب لفهم النص القرآني، وما يمكنه من إضافته لتحليل النصوص القرآنية باستخدام تقنيات متقدمة مثل معالجة اللغة الطبيعية وهذه التقنيات بدورها تتيح للأنظمة التعرف على الأنماط اللغوية، وتصنيف الآيات بناءً على موضوعاتها، وربطها بتفاسير معتمدة. إذ يمكن على سبيل المثال: تصنيف الآيات حسب المواضيع: (العقيدة، الأحكام، القصص، العبادات) وهذا يساعد الباحثين على الوصول السريع إلى الآيات المتعلقة بمسألة معينة، ما يختصر الوقت ويعزز دقة البحث، وتحليل العلاقات بين الآيات التي تتناول موضوعًا معينًا لتقديم رؤية شاملة. على سبيل المثال [19] ولكن تجدر الإشارة إلى أن الاعتماد الكلي على الذكاء الاصطناعي في تفسير القرآن الكريم لا يتأتى ولا يعول عليه إلا من خلال متخصصين ؛ لأن الذكاء الاصطناعي قد يبرز له الصحيح والمغلوط، حيث يقول الدكتور أحمد عبد العظيم، أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية خلال حواره بحلقة برامج "فتاوى الناس" "الإنترنت فيه الغث والسمين، وقد يقدم الذكاء الاصطناعي معلومات خاطئة أو آراء لا توافق المنهج العلمي الرصين الذي استقر عليه علماء الأمة، وبالتالي، فإن الاعتماد عليه في الأمور الشرعية دون مراجعة أهل العلم قد يؤدي إلى فهم خاطئ للنصوص، ويوقع الإنسان في إشكاليات كبيرة".

إن استخدام التكنلوجيا ليس أمرا محرما بل إن يعد أحد وسائل التجديد التي يستلزم من أهل الشريع المختصين الاهتمام بها لأن جلب المنفعة ودفع المضرة من مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم.[20]

وما يمكن قوله في القرآن يمكن أن يقال في المصدر الثاني من مصادر التشريع , وهي السنة , فلقد تميزت علوم الحديث بكونها أول منهج اكتملت معاملة لنقد نوع من الوثائق التاريخية, فيكون التجديد في النص النبوي يراد به العودة إلى المنابع والأصول عودة كاملة , وترك التقليد الفاسد القائم على المحاكاة على غير بصيرة , فالتجديد عملية إصلاحية, وليس عملية تخريبية, والتجديد في السنة النبوية هو تعليم الناس سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم , ونفي الكذب عليه , وإزالة الشبهات الواردة حول سنته , وتكمن خطورة هذه الدعوة في أنها قامت على أيدي أناس ينتسبون إلى ديننا, فهم يطرحون أفكارهم وآرائهم على أنها رؤى ناشئة عن الاجتهاد في فهم النص, فهم يحرفون النصوص عن معانيها بتأويلاتهم الباطلة, والسبب في هذه التأويلات المنحرفة تأثرهم بالفلسفات الغربية ودراستهم في الجامعات الأوروبية, وجهلهم بالشريعة الإسلامية, فهم يريدون إخضاع النصوص الإلهية لمبادئ الفلسفات الغربية, ظنا منهم أن هذه التفسيرات المنحرفة هي الطريق الأوحد للتقدم والرقي واللحاق بركب الحضارة المادية الغربية , إن تجديد فهم النص النبوي وفق الضوابط التي وضعها المحدثون هو الطريق الأمثل لفهم كتاب الله عز وجل , لكن أدعياء التجديد أبوا إلا أن يفسروا الوحي الإلهي المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بعقولهم اعتمادا على أفكار غربية ما أنزل الله بها من سلطان , [21]

والمتابع لجهود العلماء المتأخرين يجد أن الإنتاج العلمي للشيخ محمد ناصر الدين الألباني في مجال الحديث النبوي وعلومه، يبدو له بادِيَ الرّأي أنه اكتسب صفة البعث التجديدي للحديث النبوي. لكون جهود الشيخ الحديثية قد جمعت معالم التجديد، واستوعبَت معاني الإصلاح؟ وفيها من الدلائل العلمية الكافية والوافية على ذلك،[22] ، وكذلك يدخل التجديد في أصول الفقه، فتكون ثمرته تهذيب المؤلفات ذات الشروح والحواشي الكثيرة من مواضع التكرار والتقليد، وإخراجها في صورة جامعة للفوائد المنتشرة في المتون والشروح والحواشي، ولعل من المحاولات التجديدية في هذا المجال هو الفراغ الحاصل في بعض المباحث الشرعية [23]حيث تعَّرض علم أصول الفقه لعدة عوامل أدت به إلى الوقوع في دائرة الجمود والتقليد ولعل من أهم أسباب ذلك ما ظهر من دعوى سد باب الاجتهاد, فرغم الجهود التي بذلها الأصوليون إلا أن جهدهم لا يخلوا من نقص فهو جهد بشري [24]

فالتجديد الأصولي معناه: تجديد الأنظار والأفهام والاجتهادات الأصولية وفق المقتضيات الشرعية والمتطلبات الواقعية، وبناء على الأصول الكبرى للخطاب الشرعي[25].

والتجديد في علم العقيدة؛ بجعله على عدة محاور تشمل تخليص العقيدة من الآثار السلبية لعلم الكلام والتركيز على الجانب الإيجابي المؤثر في السلوك بالإضافة إلى الربط بين العلم العقدي والعمل إلى غير ذلك, أما في أصول الفقه، فتظهر ثمرته بربطه بعلم المقاصد ونشأته، وقد كان علماء الأصول الأوائل طبقوا هذا تطبيقا عمليا حين اقتضت الحاجة إلى دراسة المباحث الكلامية فقاموا بدمجها بمسائل علم أصول الفقه , و التجديد في السنة يكون بتنقية كتب التراث من مردود الآثار، بالإضافة إلى تفعيل التطبيق لعلوم الحديث مع إلزام أهل الدعوة بالصحيح من الآثار والتنبيه على درجة الأحاديث في دروسهم ووعظهم, والتجديد في علم التفسير؛ بدراسة منهج التفاسير ومناهج أهله وتصفية التفاسير من الخرافات, والإسرائيليات, والاهتمام بضوابط التفسير بالرأي من علم باللغة، واستصحاب المأثور، ومعرفة أسباب النزول، والتزام قواعد الفهم السليم، إلى غير ذلك

التجديد في السيرة والتاريخ الإسلامي من خلال تقديم التاريخ وفق التصور الإسلامي وعدم إقحام الرؤية الخاصة في تفسير الأحداث التاريخية بالإضافة إلى الاهتمام بتوثيق الآثار التاريخية.[26]

المبحث الثاني ـ ضوابط التجديد ومجالاته وأهدافه:

ميّزت الشّريعة الإسلاميّة عن الشّرائع السّماويّة التي أنزلت من قبل بكثيرٍ من الميّزات والخصائص، فبينما كان النّبي يأتي إلى قومه بشريعةٍ خاصّة، جاء النّبي محمّد عليه الصّلاة والسّلام إلى البشرية كافّة بشريعةٍ لجميع النّاس مهما اختلفت أعراقهم وألوانهم, فلهذا تعددت مجالات وأهداف التجديد حتى تتماشى مع شمولية الدين ,بعد تحديد معنى التجديد والإشارة لمضمونه، يمكن أن تذكر بعض الضوابط التي تجعل المعنى الصحيح للتجديد لا يلتبس بالمعاني الخاطئة التي قد يلصقها بعضهم بمفهوم التجديد :كما تجدر الإشارة إلى أنه هذه الضوابط استقرائية من خلال الاطلاع على بعض الكتب في هذا الباب:

المطلب الأول ـ ضوابط ووسائل التجديد:

1- **اتباع مناهج علمية في فهم النصوص:** إذا كان القرآن والحديث هما المصدران الأساسيان للدين، فإن توثيق نصوصهما وحفظهما من الضياع ركن أساسي لأي تجديد

للدين. لكن مما لا شك فيه أن النصوص ليست حروفًا وألفاظًا وأصواتًا، إنما النصوص معانٍ ومفاهيم، ولهذا فإن بقاء أي دين وتجديده ودوامه إنما يكون بفهم نصوصه الأصلية فهمًا صحيحًا، وحفظ معانيها السليمة وعدم تحريفها وتغييرها وتبديلها. ومثل ما توفرت لضبط نصوص القرآن ونصوص الحديث وتوثيقها، مناهج علمية معروفة في علوم القرآن وعلوم الحديث، كذلك توفرت لضبط فهم النصوص وتأصيل معانيها

2- **التجديد لا يكون في النصوص القطعية:** ولا شك أن التجديد متى خالف هذا ضابط لا يكون معتبرا، لأن النصوص القطعية لا تقبل النظر والاستدلال، ويجب الإيمان بها إيمان جازما دون أن يكون للعقل البشري التدخل فيها.

3- أن لا يكون الغرض من التجديد: هو تمييع النصوص الشرعية حتى تتماشى مع عقول أهل العلمنة ومن يريد محاربة الإسلام

لحرص على التجديد بقدر الضرورة وعدم تجاوز الحد المطلوب، فإذا احتجنا إلى التجديد في موضع من المواضع، وذلك حفظا لعلم الأصول من أن تطاله يد العابثين

4- **الحرص على التجديد بقدر الضرورة** : وعدم تجاوز الحد المطلوب، فإذا احتجنا إلى التجديد في موضع من المواضع لحرص على التجديد بقدر الضرورة وعدم تجاوز الحد المطلوب، فإذا احتجنا إلى التجديد في موضع من المواضع.

5-التجديد يكون في التبويب وعرض المسائل الفقهية حتى يكون ملائماً للذوق العصري وتغير أسلوب الكتب القديمة من حال إلى حال ليقرب المعنى إلى أذهان الناس[27]. وتجديد الأمثلة الفقهية حتى يسهل للمطلع فهم النصوص .

5- إثراء الفقه الإسلامي بأحكامٍ متجدّدة تواكب تطورات العصر ومستجداته، فنحن نؤمن بأنّ الشّريعة الإسلاميّة قادرة على إيجاد الحلول لجميع مشاكل النّاس التي تواجههم في حياتهم، كما أنّها قادرة على تقديم الحكم الشّرعي في كلّ ما هو جديد ومستحدث من المعاملات. الاحتفاظ بجوهر القديم، وإبراز طابعه وخصائصه، وترميم ما بَلِي منه، وتقوية ما ضعف من أركانه: وهنا يظهر أهم هدف من أهداف التجديد وهو إبراز مفهوم الدين الصحيح واظهار الجانب المضيء الذي يحاول الكثيرون طمسه [28], وتصحيح ما لحق التراث الفقهي من سوء التصورات والآراء، وفساد الظنون والأوهام، فإن حياة المتقدمين من أهل القرون الأولى كانت صالحة مستقيمة، مما يدل على أن علومهم كانت صالحة مستقيمة. خال تحسينات عليه، لا تُغَيِّرُ من صفته، ولا تُبَدِّلُ من طبيعته.[29]

وسائل التجديد:

من الأمور التي يجب بيانها هو كثيرا من القضايا التي حدثت جعلت التجديد مطلبا ملحا لا غنى عنه ومنها

1-جهلُ أكثرِ الناس بلغة العرب الفصيحة وبأساليبها في البيان.

ب- ظهورُ كثير من المعاملات والتصرفات المحدثة، والتي تحتاج إلى بيان الوجه الشرعي الصحيح بإزائها.

ج- التقدمُ التقني الهائل الذي قَرَّبَ البعيدَ مما أوجد احتكاكاتٍ وتعاملاتٍ مع العالم بأسره لم تكن موجودة من قبل، فيحتاج الناس فيها إلى معرفة حدود تلك التعاملات، وتمييز ما يدخل من ذلك ضمن الولاء أو البراء وضبطه، حتى لا يَحْدُثَ[30]

وسائل التجديد:

(1) يحتاج التجديد إلى تثبيت وتعيين نقطة البداية، ووضع منهج خاص للقيام بعمل نافع.

(2) توجيه النظرة من قبل العمل التجديدي في علم أصول الفقه إلى وجوب التفريق بين الشريعة والفقه، وبيان العلاقة بينهما.

(3) وجوب مسايرة الفقه أو العلم بالأحكام الشرعية التي يتوصل بها بواسطة الاستدلال والاستنباط إلى معالجة وضع معين في زمن معين لمقتضيات الحياة المتطورة للبشر، بحيث لا تخرج عن إطار الدين. أما الشريعة فثابتة لا يمكن تبديلها، لأن القرآن قد حصر سلطة التشريع في الإسلام، فجعلها بيد الله وبيد رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

(4) تمسك أكثر العلماء بما ظهر من مذاهب شغلتهم عن دراسة علم أصول الفقه، وفي هذا تحول بالفروع بجعلها أصولا. وهو ما يعوق الأئمة في الغالب عن ولوج باب الاجتهاد.[31]

المطلب الثاني ــ علاقة التجديد بالاجتهاد والتقليد :

التجديد والاجتهاد وجهان لعملة واحدة، فالأول يحدد الاتجاه، والثاني يوفر الأدوات. ولا خلاص للأمة من التخلف إلا بالجمع بينهما، مع الحفاظ على الثوابت الشرعية. ولذلك، يجب تشجيع حركة الاجتهاد المؤصلة، وفتح باب الحوار بين العلماء والمفكرين لمواكبة العصر دو دون تفريط أو إفراط.

ومن خلال تعرف الاجتهاد بأنه " استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه فيه لوم شرعي اصطلاحًا".[(32)] وتعريف الطوفي : بأنه بذل الجهد في تعرف الحكم الشرعي ، والتام منه

: ما انتهى إلى حال العجز عن مزيد طلب , [33] ثم ذكر الشروط التي يجب توافرها في المجتهد من إحاطته بمدارك الأحكام ، وهي الأصول وما يعتبر للحكم في الجملة كمية وكيفية ، فالواجب عليه من الكتاب معرفة ما يتعلق بالأحكام منه ، وهو قدر خمسمائة آية ، بحيث يمكن استحضارها للاحتجاج بها لا حفظها ، وكذلك من السنة ، ومعرفة صحة الحديث اجتهادا كعلمه بصحة مخرجه وعدالة رواته ، أو تقليدا كنقله من كتاب صحيح ارتضى الأئمة رواته ، والناسخ والمنسوخ منهما ، ويكفيه معرفة أن دليل هذا الحكم غير منسوخ ، ومن الإجماع ما تقدم فيه ؛ ويكفيه معرفة أن هذه المسألة مجمع عليها أم لا ، ومن النحو واللغة ما يكفيه في معرفة ما يتعلق بالكتاب والسنة من نص وظاهر ومجمل وحقيقة ومجاز وعام وخاص ومطلق ومقيد ودليل خطاب ، ونحوه ، لا تفاريع الفقه ، لأنه من فروع الاجتهاد ، فلا تشترط له ، وإلا لزم الدور ، وتقرير الأدلة ومقوماتها [34].

وعرفه ابن عاشور من المتأخرين بأنه: الاجتهاد استفراغ وسع الفقيه لتحصيل حكم ولو ظنًّا بدليل شرعي" [(35)]

والذي يظهر لي أن الأصوليين حين عرفوا الاجتهاد في المدونات الأصولية، اتفقوا على أمرين:

أن الاجتهاد يكون في الفروع، وأن الاجتهاد الشرعي لا يمكن تصوره إلا بوجود المجتهد، وبالرجوع إلى أدلة الشرع، فلا بد من بذل الجهد واستفراغه وهذا عمل المجتهد، ولا بد من وجود أدلة شرعية لرجوع المجتهد إليها أمران ضروريان لا يتحقق الاجتهاد بدونهما، فالاجتهاد إذًا طريق للكشف عما تضمنته (الشريعة) من أحكام[(36)]، أما بقية قيود الاجتهاد فلم تسلم من الاعتراض، غير أن الباحث يرجح تعريف ابن عاشور مع إسقاط لفظ (الفقيه)؛ ليسلم من الدور فيكون التعريف الجامع المانع للاجتهاد هو قولنا: (استفراغ الوسع لتحصيل حكم ولو ظنًّا بدليل شرعي) فالاستفراغ، جنس، وهو بذل تمام الطاقة، بحيث تشعر النفس بالعجز عن الزيادة، و(لتحصيل الظن) يخرج القطعيات إذ لا اجتهاد فيها، وقولنا: (بدليل شرعي) يخرج ما ليس بحكم شرعي كبذل الوسع في غيره من الأحكام.[(37)]

علاقة التجديد بالتقليد:

عدد تعاريف العلماء للتقليد فعرفه الآمدي بقوله : " عبارة عن العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة"[(38)]، ولم تختلف عبارة الإمام الجويني حين عرف التقليد بأنه:" هو إتباع الذي لم تقم به حجة"[(39)] وإلى قريب منه ذهب تلميذه الغزالي بقوله:" التقليد هو

قبول قول بلا حجة "[40] ، وقد اختار تعريفهم الشوكاني إذ قال:" هو العمل بقول الغير من غير حجة"[41]

ومن خلال ما تم عرضه من هذه التعريف يتضح أن التقليد: هو قبول القول والعمل به دون معرفة دليله. وتجد الاشارة إلى أن أمر الجمود لم يكن عاماً على كل علماء الأمة الإسلامية، إذ -وبفضل الله ونعمته على هذه الأمة - لم يخلوا عصر من العصور من مجتهد ولو في مذهبه، أسهم في الفقه والفتوى بعض الاجتهادات كابن تيمية وتلميذه ابن القيم من الحنابلة، ومالك الصغير والقاضي أبو الوليد ابن رشد من المالكية وغيرهم،

فإذا كان التقليد هو التمسكَ بالتراث الفقهي والفكري السابق دون إعادة نظر، فالتجديد هو عملية تطوير تستجيب لمتغيرات العصر دون الخروج عن أصول الشريعة، فالعلاقة بينهما علاقة تكامل وليست تناقضًا، فإن كان التقليد ضرورة للحفاظ على الهوية، فالتجديد ضامن لاستمراريته ؛ لأنه يجدد فهم النصوص ويُفعّلها في الواقع المتغير. فينبغي أن يكون هناك توازن بينهما فالتقليد قد يؤدي إلى الجمود، والإفراط في التجديد قد يُفقد الأصالة. فلا انفصام بين التقليد والتجديد؛ فالأول يحمي الثوابت، والثاني يضمن المرونة.

الـــخاتـــــمة:

الحمد الله الذي وفقنا لتمام هذا البحث والي من خلال هذه البسطة الميسرة توصلنا لعدة نتائج أهمها:

1- التجديد يكون في الطرق والوسائل دون المساس بأصول العقيد.

2- لابد من الالتزام بضوابط التجديد حتى لا يخرج عن حيز الجواز فمتى انخرم من هذه الضوابط شيء فإنه بذلك يكون محرما و

3- التجديد هو ثمرة الاجتهاد ونتاجه الذي لا ينفك عنه فمتى كان هناك اجتهاد كان هناك تجديد

4- التجديد لا ينافي التقليد مطلقا فلا تلازم بين كون العالم مجددا في الطرق والوسائل مقلدا في الأصول والعقائد.

5- التجديد الحقّ لا يعني الخروج على الثوابت، بل يعني حسن تنزيل الثوابت على المتغيرات، باستيعاب أدوات الاجتهاد المعتبرة.

التوصيات: يوصي الباحث بتعزيز جهود التجديد في العلوم الشرعية، خاصة من خلال اختصار المتون، وتهذيب الشروح، وتبويب المسائل بما يناسب المتلقي المعاصر. كما

ينبغي أن تتبنى الجهات المختصة بد راسة ضوابط استخدام الوسائل الحديثة بحيث تكفل سلامة النتائج المرجوة منها .

الهوامـــــــــــــــش:

[1]- ينظر ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية ، 1393 – 1973 تحقيق : محمد حامد الفقي 3/ 78

[2]- ينظر: الصحاح (ص: 158) ؛ لسان العرب (3/ 92) ، مادة: (جدد). دار صادر – بيروت ط:1

[3] أبو الأعلى المودودي. موجز ريح التجديد ص71

[4] أحمد الخليلي. الاجتهاد وأثره في التجديد. موقع جمعية التر اث الجزائري ص15

[5] أخرجه أبو داود في سننه بشرح عون المعبود، كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة، 11/ 259، رقم 4282. وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم 4291.

[6] نظرات في حديث التجديد في هذا القرن محمد مسعد ياقوت ص1.

[7] ينظر: ابن تيمية . مجموع الفتاوى المحقق : أنور الباز - عامر الجزار الناشر : دار الوفاء الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م. 297/18.

[8] ابن قيم الجوزية : إعلام الموقعين الناشر : دار الجيل - بيروت ، 1973
تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد 163/4,

9- أخرجه البخاري في صحيحه , باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة –ج 9, ص 103.

10- الاجتهاد أثره في التجديد. أحمد الخليلي .موقع جمعية التراث الجزائري ص16

11- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) تح محمد الحبيب ابن الخوجة. ,ج2 .ص 524.

12- المصدر نفسه 16

[13] إيمان بنت سالم قبوس رسالة: دكتوراه في أصول الفقه - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية إشراف: أ. د/ محمود بن حامد عثمان. ص 788 بتصرف.

[15] دكتور : علاء الدين هلال الشيخ مُحمد عبده: رائد تجديد الفكر الدينى الأحد 29 من جمادي الآخرة 1441 هـ 23 فبراير 2020 السنة 144 العدد 1143.

[16] تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين - تيار التجديد الدينى, ص 29.
[17] أمجد الطرابلسي، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، الدار البيضاء: دار قرطبة للطباعة والنشر، ط5، (1406هـ/1986م). ص 12.
[18] مقدمة تحيق كتاب رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب [تاج الدين ابن السبكي] محقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: عالم الكتب، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٩٩٩ م - ١٤١٩ هـ. ج1. ص22
[19] الذكاء الاصطناعي وتوظيفه في تفسير القرآن, علاء الدين حميدي 2025/5/21
[20] الغزالي المستصفى .ج1.ص417.
[21] تجديد فهم النص النبوي بين ضواط المحدثين ودعاوى المستغربين, الحلواني , بحث مقدم إلى مؤتمر تجديد العلوم الاسلامية والعربية جامعة الأزهر 2021.ص331
[22] الامام المحدث العلامة ناصر الدين الألباني معالم مدرسته التجديدية واثاره العلمية ة المؤلف اللجنة العلمية , الدار الأثرية سنة الطبعة 2020, الطبعة الأولى 2 ص426.
[23] خالد عدالله عون : محددات التفريق بني التجديد والتبديد في علم أصول الفقه مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية ص5.
[24] محددات التفريق بين التجدي د والتبديد في علم أصول الفقه خالد عبد الله العون مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات الشرعية والقانونية , سنة 2022ص11
[25] التجديد في علم أصول الفقه "حقيقته، دواعيه، ضوابطه مجدي محمد عبدالرحمن بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول تحديد العلوم العربية والاسلامية جامعةالأزهر , 02/3/0202 ص الملخص .
[26] عرض كتاب (التجديد في الفكر الإسلامي د.عدنان محمد أمامة دار ابن الجوزي . الطبعة الأول , ص 55 بتصرف .
[27] محمد بن صالح بن محمد العثيمين :ف تاوى نور على الدرب, ج6 , ص2.
[28] يوسف القرضاوي : فقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد ، ط: ٢، مكتبة وهبة، القاهرة (١٤٢٤هـ)، (ص ٢٩ - ٣٠).
[29] هيثم بن فهد الرومي إصلاح الفقيه، فصول في الإصلاح الفقهي المؤلف: مركز نماء للبحوث والدراساتالطبعة: الأولى، ٢٠١٣. ص14
[30]محمد يسري إبراهيم حسين فقه الأولويات في الخطاب السلفي المعاصر بعد الثورة دار اليسر للنشر والتوزيع، مصر.
[31] كتاب المنطلق في التجديد لحسين أتاي العد 37 .ص 21
[32] - القرافي، شرح التنقيح، ص 429.
[33] شرح مختصرالروضة أبو الربيع، نجم الدين الطوفي .المحقق : عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، 1407 هـ / 1987 م
الطوفي - نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي ج3. ص 575.
[34] المصدر نفسه. ج3. ص 575.
[35] - حاشية التنقيح : محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393 هـ) الناشر: مطبعة النهضة – تونس الطبعة: الأولى، 1341هـ ص 755.

[36] - عابد السفياني، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية ص88.
[37] - أحمد بن إسماعيل الكوراني، الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، 4 /6.
38 - الإحكام في أصول الأحكام ، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق : د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الأولى ، 1404، 227/4.
39 - التلخيص في أصول الفقه، لأبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: عبد الله جولم وآخرون، دار البشائر الإسلامية بيروت، 1417هـ- 1996م ،427/3
40 - المستصفى في علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية – بيروت 370/1
الطبعة الأولى ، 1413هـ ،
41 - إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية ، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1999م، 239/2